مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (٣٢)

مفهوم السلطة فى فلسفة ميشيل فوكو

إعداد
الباحث/ محمد أحمد يوسف خضر
لدرجة الدكتوراة - قسم الفلسفة

تحت اشراف
أ.د/ ابراهيم طلبة عبد الخالق
أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة - كلية الآداب - جامعة طنطا

السنة ٢٧ العدد (١٠٦) يوليو ٢٠١٦م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مفهوم السلطة في فلسفة ميشيل فوكو

الباحث /محمد احمد يوسف خضر

لدرجة الدكتوراة قسم الفلسفة

تحت اشراف

أ.د ابراهيم طلبة عبدالخالق استاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة كلية الاداب جامعة طنطا

ملخص البحث

السطلة لغوياً هي: القوة والقدرة على الشيء، والسلطان الذي يكون للإنسان على غيره، جمع سلطات. ولها ايضاً تعريف اصطلاحي: وتعني غالبية حالات القيادة، وتُطبق السلطة استناداً إلى قوة اجتماعية معينة. وقد تكون هذه القوة حقيقية "كالتهديد بالتسبب بأذى جسماني" أو روحية "كانصياع المؤمنين" وللسلطة أنواع منها الشرعية والنفسية والدينية والاجتماعية.

ويعرف "فوكو" السلطة بأنها (علاقات) ومن أهم مزايا علاقات السلطة في رأيه هو تعدد "موازين القوى، ويرى أن السلطة تقوم على الصراع بين الحاكم والمحكوم، ولها وسائلها المختلفة التي من خلالها تستمد قدرتها على التحكم والسيطرة، ويحاول أن يقاوم السلطة، لكنه لم يوضح لنا لماذا اختار المقاومة والصراع معها دون الخضوع لها، كما أنه لم يرفض كل أشكال السلطة في الوقت نفسه، ولم يهدف كذلك إلى إقامة نظرية متكاملة عن السلطة، وإنما السلطة بالنسبة له هي الفضاء الحافل الصراعات. ويتم ممارسة السلطة من خلال التعذيب وهو "عقاب جسدي مؤلم يتفاقم إلى حد الفظاعة، والعقوبات هنا جسدية ومتنوعة في أشكالها، فالموت مثلا يمكن أن يكون بالشنق أو التقطيع أو الخنق أو الحرق حياً أو بكسر الرأس. ويلعب التعذيب في رأي "فوكو" وظيفة سياسية وقانونية، حيث يضفي التعذيب في عيون الجميع قوة لا تقهر، وهدفه إظهار الفارق الأقصى بين فرد من الرعية تجرأ على خرق القانون، والحاكم ذو القوة الذي يبرز قدرته.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم يأتي دور العقاب حيث التحول من التعذيب للعقاب بسرعة بسبب النزعة التي أدت لاستبدال الفظاعة بعقوبات تدعي شرف الإنسانية. ويرى "فوكو" أن سبب التعذيب هو حضور الشعب كشاهد على تلك الفظاعة وهذا الحضور هو المشكلة، إذ كثيراً ما ينقلب مسرح التعذيب من العبرة إلى التعاطف، ومن الانتقام من المجرم إلى التسامح معه، وخاصة عندما يعلم الشعب أن العقوبة جائرة والحكم ظالم، هكذا يتحول المجرم إلى بطل، ويبدأ الشعب في التضامن معه. ومكان العقاب السجون في المنظومات الاجتماعية الإنسانية. لأن السجن هو الوسيلة الأفضل والأكثر فعالية وعقلانية من أجل فرض العقاب على خروقات النظام في مجتمع ما.

ثم يأتي دور الانضباط والموضوع المركزي للانضباط هو الجسد، جسد الجندي والمريض والتلميذ والعامل والمجرم، فالجسد هدف التكييف والتدريب والتطويع والاستجابة والتكاثر. ولقد أضاف العصر الحديث للسجل التشريعي السجل التقني والسياسي، الذي تألف من مجمل الأنظمة العسكرية والمدرسية والصناعية. ومفهوم "الإنسان الآلة" الذي هدفه الأساسي أمران هما الخضوع والتشغيل، وبهما يتحقق التطويع والطواعية، فالجسد في كل حالاته يجب أن يكون طيعاً والجسد الآلة ليس فقط أداة للتفسير بل دمية سياسية.

والسلطة أو القوة تنتج المعرفة وتقتضي إحداهما الأخرى، إذ لا توجد قوة أو سلطة بدون تأسيس مناسب لحقل المعرفة ولا توجد معرفة لا تقيم علاقات قوة وسيطرة والسلطة تقوم على مجموعة من العلاقات وهي عبارة عن "علاقات قوة". وعلاقات القوة التي يتحدث عنها "فوكو" هي أشكال من المواجهة والتصادم والصراع. إذ لن تكون القوة واحدة بل متعددة. وقد أظهرت العلوم الفيزيائية ذلك أيضاً، فالقوة أو السلطة ليست سلباً خالصاً ولا شراً خالصاً.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مُقدّمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونثني عليه الخير كله، فهو أهله والقادر عليه، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا "محمد" عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأزكى السلام، ثم أما بعد :.

فهذا البحث يتناول بالدراسة والتحليل "مفهوم السلطة في فلسفة "ميشيل فوكو Michel Foucault"(*)". ويرتبط هذا البحث ارتباطاً مباشراً بحياتنا المعاصرة لتعلقه بموضوع السلطة والصراع حولها، والبداية كانت بتنوع المخلوقات في هذا الوجود تنوعاً مذهلاً. وتختلف هذه المخلوقات بعضها عن بعض اختلافات واسعة بالصفات والطاقات والاستعدادات، وتنشأ عن ظاهرة الاختلاف والتنوع هذه ظاهرة أخرى تكاد ترتبط بها ارتباطاً عضوياً، هي ظاهرة التجمع، ولكل تجمع قوانينه وأهم تلك التجمعات هي التجمعات البشرية ومن أهم قوانينها وشروطها "السلطة".

وتحدث عن ذلك كثير من الفلاسفة والحكماء علي مر التاريخ، كان من بينهم فوكو" وهو موضوع البحث. نظراً للاهتمام البالغ الذي حظيت به السلطة عبر مؤلفاته المختلفة، حتى أنه أفرد لها كتاباً خاصاً بعنوان "المراقبة والمعاقبة" تحدث فيه

---

*. ميشيل فوكو (Michel Foucault): هو فيلسوف فرنسي، ولد في ١٥أكتوبر عام ١٩٢٦، في بلدة بواتييه "Poitiers" بفرنسا لأسرة ريفية بارزة. والده الطبيب الجراح "بول فوكو، عانى من اكتئاب حاد بلغ به حد محاولة الانتحار في مدرسة الأساتذة العليا بعدما التحق بها. وقد عرض على معالج نفسي. ونتيجة لهذه التجربة أصبح "فوكو" مولعاً بعلم النفس. فإضافة إلى حصوله على إجازة في الفلسفة، فقد حصل أيضاً على واحدة في علم النفس، وقد كانت الأخيرة مؤهلاً جديداً في فرنسا. وشارك في العيادة التابعة للهيئة. انضم "فوكو" إلى الحزب الاشتراكي الفرنسي من العام ١٩٥٠ وحتى ١٩٥٣، وقد انتسب إلى الحزب عن طريق "لويس ألتوسير"، لكن ما لبث أن تركه بعد أن أثارت قلقه تصرفات "ستالين" في الاتحاد السوفييتي. وقد أفاد عديدون بأن "فوكو" لم يكن نشطاً في فرقته الحزبية على عكس الكثيرين من أعضاء الحزب. حصل "فوكو" على شهادة الأستاذية عام ١٩٥٠. ليعمل محاضراً فيها لفترة، ما لبث بعدها أن تقلد منصباً في جامعة "ليل" ليحاضر في علم النفس ما بين ١٩٥٢ و ١٩٥٤. ثم عين مندوباً عن فرنسا إلى "جامعة أوبسالا University of Uppsala" في السويد، وهو منصب أعده "جورج دومزيل" خصيصاً "لفوكو". ثم غادر منصبه هذا في عام ١٩٥٨، ولبث فترة وجيزة في جامعة "وارسو" وأخرى في جامعة هامبورج. ثم عاد "فوكو" إلى فرنسا عام ١٩٦٠ ليتابع الدكتوراه. حاز على شهادة الدكتوراه عام ١٩٦١، بعد أن قدم بحثين كما هي العادة في فرنسا، أولهما رئيسي بعنوان "تاريخ الجنون"، وآخر ثانوي تضمن ترجمة وتعليقاً على الفيلسوف الألماني "كانط" في الانثروبولوجيا والنظرة النفعية. وبعد أن تم إرسال شريكه "ديفر" إلى تونس لأداء خدمته العسكرية، انتقل "فوكو" عام ١٩٦٦ إلى جامعة تونس. وتوفي "فوكو" نتيجة مرض خبيث في باريس بتاريخ ٢٥ يونيو ١٩٨٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن السلطة وآلياتها وعن الصراع الدائم بين الحاكم والمحكوم. لذا سيتم تناول تعريف السلطة، والتعذيب والعقاب والانضباط، وعلاقات السلطة بغيرها.

١- تعريف السلطة Authority:

أ- لغةً:

السلطة في اللغة هي القوة والقدرة على الشيء، والسلطان الذي يكون للإنسان على غيره، جمع سلطات، وهي الأجهزة الاجتماعية التي تمارس السلطة، كالسلطات السياسية والسلطات التربوية والسلطات القضائية وغيرها[٢]. وهي القدرة على التأثير Impact في الأشخاص ومجريات الأحداث، باللجوء إلى مجموعة من الوسائل، تتراوح بين الإقناع والإكراه[٣]. وقد يكون مصدر السلطة هو العلم والثقافة والفن، فكبار العلماء والخبراء والفنانين يتمتعون بسلطة يمكنهم بواسطتها أن يؤثروا على سلوك الآخرين. وهي قدرة شخص معين أو منظمة على فرض أنماط سلوكية لدى شخص ما. وتعتبر السلطة أحد أسس المجتمع البشري وهي مناقضة لمبدأ التعاون. وتبني أنماط العمل نتيجة فرض السلطة يُسمى الانصياع[٤].

ب- اصطلاحاً:

السلطة كمصطلح يشمل غالبية حالات القيادة، وتُطبق السلطة استناداً إلى قوة اجتماعية Social Force معينة. وقد تكون هذه القوة حقيقية "كالتهديد بالتسبب بأذى جسماني" أو روحية "كانصياع المؤمنين". وتطبق السلطة بشكل مباشر استناداً إلى وجود قوة فعلية Actual "كالتهديد بالحبس"، ويسمى "الإكراه" أيضاً، وقد تنبع من الشرعية التي يمنحها الخاضع للسلطة لأصحابها مثل: الاعتراف بمرجعيات معينة. وغالباً ما نجد هذين النوعين من المرجعيات متداخلين[٥].

٢- د. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٨، صـ ٦٧٠.

٣- جورج بالانديه: الانثروبولوجيا السياسية، ترجمة: جورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٨٦، صـ ٣٧.

٤- د. عبد الله ناصف: السلطة السياسية، ضرورتها وطبيعتها، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٢، صـ ٩.

5-McCarthy Thomas: the Critique of Impure Reason ,in Critique and Power, Recasting the Foucault/ Habermas Debate Edited by Michael Kelly Cambridge. MIT Press ,1994, P.255.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد أكد "فوكو" أن مفهوم "السلطة"، له تأثير على تشكل الذات، وقد تأثر في ذلك "نيتشه" من خلال مفهوم الصراع والحرب، حيث قال "فوكو": إن التاريخ الذي يشكلنا وينتجنا لديه شكل الحرب أهم من اللغة، حيث إن علاقات القوة أكثر وأهم من علاقات المعنى "(٦). وإن ما قلته خلال السنوات الماضية يدخل ضمن مخطط النضال Struggle Scheme والصراع والقمع، وهذا المخطط هو ما أحاول تطبيقه(٧). حتى إن ذات الإنسان نفسه تتولد نتيجة لعلاقات القوة Power Relations التي تعم الجسد الاجتماعي (٨).

وهناك مرجعيات قليلة فقط تعتمد على القوة الجسدية، بينما يطبق الكثير من المرجعيات بفضل وجود جهاز تنظيمي يقوم على الصلاحيات. هكذا تكون قدرة تطبيق سلطة ما مرتبطة بكونها موجودة أصلاً. مثل: صلاحية حاكم الدولة تنبع من أن شرطة ما ستعاقب الأفراد الذين لا ينصاعون لمرجعيته. وينصاع أفراد الشرطة للحاكم وقوانينه، لأنهم هم أنفسهم خاضعون لتهديد الشرطة. لكن إذا قرر جميع رجال الدولة التمرد على سلطة الحاكم فستُسلب منه السلطة والصلاحية (٩).

وبهذا فالسلطة مفهوم يشير إلى النفوذ المعترف به كليّاً لفرد أو نسق من وجهات النظر، أو لتنظيم مستمدّ من خصائص معيّنة، أو خدمات معيّنة مؤدّاة. وقد تكون السلطة سياسيّة أو أخلاقيّة أو علميّة (١٠). وينضوي تحت هذا المفهوم عدة أنواع من السلطات:

6-Foucault. Michel: "Truth and Power" in Power / Knowledge Selected interviews other Writings 1972-1977 , Edited by Gordon , translated. by Colin Gordon , Leo Marshall and John Mephan and Kate Soper, new York , Pantheon Books ,1980, P.115.

7- Foucault, Michel: Society Must be Defended, Translated by Arnold I David Macey, Picador, New york,1975, P. 52.

8-Allen. Amy: The Anti- Subjective Hypothesis ,Michel Foucault and the Death of the Subject , the philosophical Forum , Volume 2, 2000, P.116.

9- www.maarifa.edu/tasearch.net.

١٠.لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيتيين: الموسوعة الفلسفية، إشراف: م. روزنتال، ب. يودين، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٧م، صـ ٢٤٨ - ٢٤٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١- السلطة النفسيّة أو العقلية:Mental Authority : وهي ما يطلق عليها اسم السلطان الشخصي، والتي تتمثّل في قدرة الإنسان على فرض إرادته على الآخرين، نظراً لقوّة شخصيته وشجاعته، وقدراته العقليّة المتفوّقة.

٢- السلطة الشرعيّة: Legitimate Authority: وهي السلطة المُعترف بها في القانون، كسلطة الحاكم والوالد والقائد.

٣- السلطة الدينية: Religious Authority: وهي مستمَدّة من الوحي الذي أنزله الله تعالى على أنبيائه، ومن سنن الرسل، وقرارات المجامع الدينيّة المقدّسة، واجتهادات الأئمة.

٤- سلطة الأجهزة الاجتماعيّة: Social Authority Devices كالسلطة السياسيّة، والتربويّة، والسلطة القضائيّة و غيرها(١١).

وممارسة نشاط ما على سلوك الناس، أي القدرة على التأثير في ذلك السلوك، وتوجيهه نحو الأهداف والغايات التي يحددها من له القدرة على فرض إرادته. ولن تكون وسائل السلطة في تحقيق ذلك استعمال الإكراه فحسب، فبإمكاننا تأمين الطاعة وتحقيق الأهداف بواسطة الحظوة أو الصيت أو الموقع الاجتماعي، وحتى بواسطة السلوك الذي يعده المجتمع سلوكاً فاضلاً، فيرفعنا إلى مرتبة النموذج أو القدوة (١٢).

ويعتبر "ماكس فيبر Max Weber" العنف هو الوسيلة الطبيعية للسلطة من حيث احتكارها وجعلها مشروعة، ولذا نجده يضع ثلاثة نماذج لمشروعية السلطة وهي:

١- نموذج تقليدي Traditional Model: يستند إلى نفوذ "الأمس الأزلي" ويتمثل في سلطة الأعراف وقداسة الاعتقاد في السلف.

٢- نموذج السلطة الاستثنائية Extraordinary authority Model : المبنية على الاعتقاد الانفعالي في قدرات شخص استثنائي بسبب قداسته أو بطولته، أو ميزاته المثالية.

١١- د. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ٦٧٠.

١٢- جان مينو: مدخل إلى علم السياسية، ترجمة: جورج يونس، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢، صـ ٨٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣- نموذج السلطة القانونية Legal authority Model : المستمدة من الاعتراف بمعقولية التشريعات والقوانين(١٣).

والسلطة وظيفة اجتماعيّة تقوم على سنّ القوانين وحفظها وتطبيقها ومعاقبة من يخالفها، وتغييرها وتطويرها كلّما دعت الحاجة: إنّها الوظيفة التي لا غنى عنها لوجود الجماعة ذاته، واستمرارها ولمتابعة نشاطها. إنّها تلك الوظيفة القائمة على اتخاذ القرارات التي يتوقّف عليها تحقيق الأهداف التي تتابعها الجماعة. فالتنظيم والتقرير والحكم والعقاب هي المهام التي تنتظر السلطة في أيّة جماعة كانت(١٤). وهو يشترك في هذا مع "فوكو"، الذي حاول أيضاً طرح مشكلة السلطة من خلال ممارسات الحكم Governance Practices (١٥).

وعندما تنحرف هذه الوظيفة الاجتماعيّة عن مسارها الأخلاقيّ وتكرّس نفسها لخدمة فئة من أصحاب النفوذ، فإنّها تصبح المنتهِكة الأولى للقوانين، والمتجاوزة والمحرّفة لها، بحيث تصبح هذه القوانين أداة طيّعة تخدم مصالح أصحاب النفوذ، وتضر بمصالح الآخرين من الطبقات الأخرى، و تستعبدهم في آن واحد. وهنا تنفصل السلطة عن الشعب، وتدافع عن مصالح المستغلّين، وهم الأقليّة في المجتمع. ويمارسها الأشخاص الذين يصبح الحكم بالنسبة إليهم مهنة وهم: "الموظفون والجيش والبوليس.. الخ". أمّا المؤسسات الرئيسيّة الهامة الملحقة بالسلطة العامّة فهي المحاكم والسجون وغيرها من المؤسسات العقابيّة(١٦).

وفي ظلّ سيادة أقليّة من الناس يسود الاستغلال والاستعباد، وتتحوّل الشرائح الاجتماعيّة Social Strata العريضة إلى مجموعة من العبيد المنتجين، الذين يثمّرون طاقاتهم الإنتاجيّة إلى فئة الأقليّة، ومن هنا فإنّ الدولة التي تكون على رأسها سلطة مستبدّة طاغية، ستكون دائماً تحت تصرف تلك الطبقة من المجتمع التي لها

١٣- ماكس فيبر: رجل العلم والسياسة، ترجمة: نادر ذكري، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٨٢، صـ ٤٧.

١٤- جان وليم لابيار: السلطة السياسية، ترجمة إلياس حنّا إلياس، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م، صـ ٤١.

15-Lemeke. Thomas: Foucault ,Governmetality , and Critique, Paper Presented at the Rethinking Marxism Conference, University of Amherst, September, 2000, P.11.

١٦- لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيتيين: الموسوعة الفلسفيّة، مرجع سابق صـ ٢٤٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سند قانوني في ملكية أدوات الإنتاج. وما تصدره الدولة من قوانين، إنما تصدره لصالح هذه الطبقة، كما أن حق الملكيّة الذي تحافظ عليه ليس إلاّ حقّ تلك الطبقة في ملكيتها، ومن ثمّ فإذا كان عدد الذين يملكون، في دولة من الدول، ضئيلاً فإنّ القانون سوف يتحيّز لصالح هذه القلّة. وإذا كانت الجماعة بأكملها هي التي تملك، فسوف يتحيّز القانون لصالح الجماعة كلّها ضدّ المصلحة الخاصّة لبعض الأفراد(١٧).

وهناك السلطة الاستبداديّة Authoritarian Authority، والتي من خلال ممارساتها وأدوارها التاريخيّة، لا تفكر مطلقاً في أن يكون المجموع الإنسانيّ الذي تحكمه مالكاً، لأن امتلاك هذا المجموع سيدفعه إلى أن يتحرر اقتصادياً وبالتالي يدفعه إلى التمرد وكسر عصا الطاعة المفروضة عليه، وهذا لا تريده السلطة الاستبداديّة، لأنّ التحرر الاقتصادي للمجموع الإنسانيّ مقدّمة للتحرر السياسي والإنساني. وقديماً قال فقهاء السلطة الاستبداديّة: "جوّع كلبك يتبعك" (١٨)، فالدولة المستبدّة والمستغِلّة تطمح دائماً إلى التعالي على أفراد شعبها، وإلى الانفصال عن المجتمع، وإلى وضع نفسها فوقه. وهي تنجح في ذلك بقدر ما يكون تعبيرها عن مصالح الطبقة "المستغِلّة" السائدة اقتصادياً(١٩). كما أن الحكّام الطغاة، ومنذ أقدم العصور، اعتقدوا أنّ سعادتهم يمكن أن تتحقق بوسائل تستلزم فرض البؤس على الآخرين(٢٠).

وقد عُرِف عن السلطة، ومن خلال تاريخها الطويل، احتقارها لمواطنيها، وتسخيرهم لخدمة مصالحها الشخصيّة؛ إذا رفع الحكام سيف البغي على رقاب شعوبهم، وعاثوا فيهم فساداً و تخريباً و تسلّطاً و إرهاباً، وحكموا بلدانهم حكماً دكتاتوريّاً فرديّاً، واعتبروا أنفسهم أوصياء وأسياداً، وأصحاب سلطة مطلقة على

١٧- هارولد لاسكي: الدولة في النظرية والتطبيق، ترجمة: كامل زهيري، أحمد غنيم، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٣م، صـ ٢٧٠.

١٨- د. خليل الجرّ: المعجم العربي الحديث، مكتبة لاروس، باريس، قسم الأمثال العربية، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م، صـ ١٣١١.

١٩- أ. ك أوليدوف: الوعي الاجتماعي، ترجمة: ميشيل كيلو، دار ابن خلدون، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م، صـ ١٦٢.

٢٠- برتراند راسل: السلطة والفرد، ترجمة: د. لطيفة عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، صـ ١٠٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شعوبهم. ويروى أنّ ملك فرنسا لويس الخامس عشر وقف في الثالث من آذار "مارس" ١٧١٦م أمام برلمان باريس قائلاً: في شخصي وحدي تجتمع السلطة، ولي وحدي تعود السلطة التشريعيّة دون منازع أو حسيب. النظام العام بمجمله، يستمدّ وجوده من وجودي، وأنا حاميه الأول. شعبي وأنا واحد. حقوق ومصالح الأمّة، التي يجرءون على جعلها جسماً منفصلاً عن الملك، هي بالضرورة متّحدة بحقوقي ومصالحي أنا، ولا ترتاح إلاّ بين يدي[٢١].

ولا يختلف هذا كثيراً عن أيّ حاكم ظالم، أو طاغية معاصر؛ لأنّ الحاكم الجائر يظنّ نفسه أنّه الإله المتوّج بالمنعة والسطوة، وما على بني البشر إلاّ طاعته. ومن هنا فإنّ السطوة المطلقة التي يمارسها الحاكم المستبدّ على أفراد شعبه، وقدرته السحريّة الماكرة على تطويع الناس لأن يكونوا خدماً أذلاء تابعين له، منقادين لأوامره انقياداً مطلقاً، جعلت كثيراً من الناس في العصور القديمة يتصورون أنه لا بد أن يكون الحاكم من طبيعة غير طبيعة البشر، فهو من طبيعة إلهيّة، وهو إله أو ابن الإله. و هو يحكم بتفويض مباشر أو غير مباشر من الله[٢٢].

و حتّى تستطيع السلطة السياسيّة الجائرة أن تقود الناس قطيعاً وراءها، لا بدّ من أن تحصّن نفسها بمجموعة من القادة الاستبداديين، الذين يعزّزون خطاباتها الفكرية وخططها السياسيّة والعسكريّة، إذ يساعدها هذا التعزيز على أن تصبح مطلقة شاملة في كلّ البنيات الإنسانيّة العامّة: السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة. وبسيف هؤلاء القادة الاستبداديين تتوّج نفسها تاجاً مقدّساً فوق رؤوس العباد؛ وبالتالي تمارس عليهم قهراً، وتصنع منهم أزلاماً وخدماً، وتضعفهم وتفتتهم طوائف وقبائل، وتشكّل فيما بينهم تبايناً طبقيّاً حادّاً، يقسمهم فئتين: فئة حاكمة تتولى السلطة السياسيّة وتصدر القرارات والأوامر، وفئة أخرى محكومة لا يكون لها إلاّ الطاعة والتنفيذ. ونظراً إلى ما للسلطة السياسيّة في الدولة من صفات ذاتيّة خاصّة فقد أطلق عليها الفقه الفرنسي اسم "السيادة Sovereignty "، وصفة السيادة مقتضاها أنّ سلطة الدولة سلطة عليا لا

٢١- جان وليم لابيار: السلطة السياسية، مرجع سابق، صـ ١٤٢

٢٢- د. إمام عبد الفتّاح: الطاغية "دراسة فلسفيّة لصور من الاستبداد السياسي، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، "سلسلة عالم المعرفة"، العدد ١٨٣، ١٩٩٤م، صـ ٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يسود عليها شيء ولا تخضع لأحد، ولكن تسمو فوق الجميع، وتفرض نفسها على الجميع(٢٣).

و حتّى تستطيع السلطة الاستبداديّة أن تسمو فوق الجميع، عليها أن تعمل على إبقاء شعوبها جاهلة، لأنّها ترى في الجهل واحداً من الشروط الأساسيّة التي تمثّل قوتها، وتعزز في هذه الشعوب فكرة قبول التقاليد الدينيّة، بحذافيرها وبدون نقاش. وليس غريباً أن تتقيّد هذه الشعوب بالتقاليد الدينيّة، لأنها شعوب مسحوقة بعملها اليومي ومحرومة من الترفيه ومن النشاط الفكري. إذ يجد المواطن نفسه ومنذ الصغر، وفي مختلف ظروف حياته، محاطاً بهذه التقاليد التي يزرعها في أعماقه جمع من البشر الرسميّين من كلّ الأصناف الكهنوتيّة، بحيث تصبح هذه التقاليد ضرباً من العادات الذهنيّة والأخلاقيّة الأقوى في معظم الأحيان من عقله السليم الطبيعي(٢٤).

إذاً كان من المعروف أنّه يكمن وراء انتشار السلطات الاستبداديّة في كل أنحاء العالم، أمراض محليّة متشابهة، تظهر في أمكنة متعددّة متباعدة، وتختلف نسبة تأثيرها، فإنّ هذا التباعد في المكان الذي تظهر فيه الأنظمة الاستبداديّة، وهذا الاختلاف في النموذج والشكل، تبعاً لاختلاف الزمان والمكان، لا يمنع من كون هذه الأنظمة جميعها متّصلة مترابطة. ففي عالم أصبح من المستحيل فيه على بلد أن يحيا منعزلاً، ومكتفياً بذاته، لا مجال للنكران بأنّ ظهور نظام استبداديّ في مكان ما يؤدّي إلى ظهوره في مكان آخر عن طريق التبادل والتأثير بالعلاقات التجاريّة والاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة وغيرها(٢٥).

ويعرِّف "فوكو" السلطة بأنها علاقات قوى، فيقول "هو تعريف بسيط للسلطة باعتبارها "علاقة قوى A strengths Relationship"، ويستبعد عنها معنى الماهية

٢٣- د. عبد الله إبراهيم ناصيف: السلطة السياسيّة "ضرورتها وطبيعتها"، دار النهضة العربيّة، القاهرة، ١٩٨٣م، صـ٤.
- راجع أيضاً: د. ثروت بدوي: النظم السياسيّة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٦م، صـ ٤٠.

٢٤- ميخائيل باكونين: الإله والدولة، ترجمة: جلال المخ، دار المعارف، تونس، ١٩٨٢م، صـ ٢٢.

٢٥- موريس دوفرجيه: في الدكتاتوريّة، ترجمة: د. هشام متولي، منشورات عويدات، بيروت، ط٢، ١٩٧٧، صـ٢١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والكينونة وبالتالي يستبعد حجزها في حدود الدولة فقط. وذلك لأن السلطة في رأيه "ممارسة Practice " في حد ذاتها فلا يمكن امتلاك السلطة أو الحرمان منها، حيث إنها لا تمنح ولا يتم تبادلها ولكنها فقط تُمَارس(٢٦).

ومن أهم مزايا علاقات السلطة في رأي "فوكو" هو تعدد "موازين القوى " حيث يرمز جزئياً لا كلياً إما في شكل حرب أو في شكل سياسة، لذلك فإن السياسة والحرب استراتيجيان مختلفتان، إنما سريعتا الوقوع الواحدة في الأخرى، لدمج موازين القوى المذكورة غير المتوازنة، المتنافرة، المتقلبة والمتوترة، لذلك يرى "فوكو" أن السياسة هي الحرب التي نواصلها بوسائل أخرى(٢٧). وبهذا يكون الكل ضد الكل، فنحن في صراع دائم ضد بعضنا البعض (٢٨)، والصراع والتصادم Collisions هذا يبدأ من داخل الفرد، فكلنا نقاتل ضد بعضنا، وهناك دائماً في داخل كل شخص شيء يقاتل ويصارع شيئاً آخر (٢٩).

وبما أن السلطة علاقة فمن المؤكد أنها لن توجد إلا عندما تتحقق بالفعل، ويتم ممارستها ولذا يجب دراستها على مستوى العلاقات الفعلية المنتشرة في المجالات الاجتماعية المتنوعة. وبهذا نجد تأكيد "فوكو" على فكرة الممارسة وهذا يدفعنا إلى تحليل ممارسات السلطة Practices of Authority لدى "فوكو" من خلال نظرته الأركيولوجية، وذلك بتحليل تلك الممارسات وهي التعذيب والعقاب والانضباط.

26- Foucault. Michel: Discipline and Punish , The Birth of The Prison , translated by Sheridan, New York, Vintage Books,1979 ,P.27.

٢٧- الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠، صـ٢٣٥

28- Foucault. Michel: The Confession of the flesh, Power / Knowledge, Selected interviews and Other Writings, 1972-1977, Edited by Colin Gordon, Translated by Colin Gordon, Leo Marshall and John Mephan and Kate Soper, New York ,Pantheon Books, 1980, P.208.

29- Foucault. Michel: Eye of Power: Power / Knowledge, Selected interviews and Other Writings, 1972-1977, Edited by Colin Gordon, Translated by Colin Gordon, Leo Marshall and John Mephan and Kate Soper, New York ,Pantheon Books, 1980 , P.207.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١- التعذيب: Torture:

يعرف "فوكو" التعذيب بأنه"عقاب جسدي Physical Punishment مؤلم يتفاقم إلى حد الفظاعة نوعاً ما، ويصف "فوكو" أشكال الصراع بين المجتمع والمجرم صاحب الجرائم الخطيرة أو بين السلطة والمجرم بقوله: "ضَبَطَ الأمر الملكي الصادر في فرنسا سنة ١٦٧٠ وحتى الثورة الفرنسية الأشكال العامة للممارسات العقابية Punitive Practices التي فرضتها هذه الإرادة: الموت، السؤال مع التحفظ على الأدلة، الأشغال الشاقة المؤبدة، الجلد، الغرامة، الإقرار بالذنب علناً مع الاعتذار والتوبة"(٣٠)، النفي وقد تضمنت عقوبة الموت الطبيعي كل أنواع الموت: فالبعض يمكن أن يحكم عليهم بالشنق والبعض الآخر قد يحكم عليهم بقطع قبضة اليد أو قطع اللسان أو ثقبه، ثم الشنق فيما بعد، وهناك من يحكم عليهم في جرائم أكثر خطورة بالتقطيع، ثم بلفظ الأنفاس فوق الدولاب، بعد قطع أطرافهم، وآخرون يحكم عليهم بالقطع حتى الموت، وآخرون يحكم عليهم بالخنق ثم بالتقطيع، وآخرون يحكم عليهم بالموت أحياء، وآخرون قد يحكم عليهم بالحرق بعد أن كانوا قد تم خنقهم، وقد يحكم على البعض بقطع اللسان أو ثقبه، ثم بعدها بالحرق أحياء، وآخرون يحكم عليهم بأن تجرهم خيول أربعة، وآخرون يُحكم عليهم بقطع رؤوسهم، وآخرون يُحكم عليهم بكسر الرأس. وهناك عقوبات خفيفةMild Sanctions مثل: إرضاء الشخص المهان، لوم، توبيخ، حبس لفترة، حظر الإقامة في مكان معين، وأخيراً العقوبات النقدية، غرامات ومصادرات (٣١).

وهكذا فالعقوبات جسدية في أساسها ومتنوعة في أشكالها، فالموت مثلا يمكن أن يكون بالشنق أو التقطيع أو الخنق أو الحرق حياً أو بكسر الرأس. وهكذا فإن هذه الممارسات والتي يصفها "فوكو" ببراعة تغطي كل المرحلة الكلاسيكية، ويقدم نسباً ذات دلالة تاريخية عن حجم الإعدامات، فمثلا بين سنوات ١٧٥٥- ١٧٨٥ تراوحت

30- Foucault, Michel: Discipline and Punish, P.86.
31- Ibid , P.87.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأحكام بالإعدام بين ١٠/٩ منها أحكام بالدولاب والمشنقة والمحرقة، كما أصدر برلمان محكمة "الفلاندر" ٣٩ حكماً بالإعدام من أصل ٢٦٠ قراراً، أصدرها بين ١٧٢١ و ١٧٣٠ و ٢٦ إعداما من أصل ٥٠٠ بين ١٧٨١ و ١٧٩٠[٣٢].

وتبين تلك الأرقام حجم أحكام الإعدام وأشكال التعذيب التي طالت أجساد المعاقبين، كالعرض مثلاً والربط إلى عمود التشهير والغل والجلد، وبشكل عام فإن القاعدة المعمول بها هي أن: كل عقوبة لها صفة الجدية Serious يجب أن تشتمل على التعذيب[٣٣].

ولكي تكون العقوبة تعذيباً يجب أن تُحدث كمية من الوجع يمكن تقديرها ومقارنتها وترتيبها، فالموت يكون تعذيبا بقدر ما لا يكون فقط حرماناً من حق الحياةThe Right of Life، حيث أن قطع الرأس بضربة واحدة درجة التعذيب تكون هنا صفراً، لكن الموت التعذيبي هو فن إمساك الحياة Art of life Constipation في الوجع، وذلك بتقسيمه إلى "ألف موته" مع الحصول قبل أن تتوقف الحياة على أشد حالات النزع، ويركز على فن بأكمله من كمية الوجع، والتعذيب يربط نمط الإصابة الجسدية، وكمية وزخم وطول الأوجاع مع خطورة الجريمة ومع شخص المجرم ومع رتبه ضحاياه. والتعذيب لا يقع بطريقة عشوائية وكتلة واحدة على الجسم، إنها محسوبة وفقاً لقواعد مفصلة: عدد من جلدات السوط، كوي بالحديد الأحمر، طول النزع فوق المحرقة أو الدولاب، وتقرر المحكمة إمكانية الخنق في الحال للمحكوم بدلاً من تركه يموت، وفي نهاية كم من الوقت يجب أن تقع هذه الحركة الرحيمة، نمط التقطيع الذي يجب فرضه، تقطيع القبضة وتخريق الشفتين أو اللسان، كل هذه العناصر المتنوعة تضاعف العقوبات وتدمج بحسب العقوبة والجريمة[٣٤].

كما أن التعذيب له مراسم وطقوس، وعملية تدوين لجسد المعذَب، قصد الحصول على الاعتراف بالجريمة، لذا فإن الاعتراف هو القطعة الأساسية في عملية

٣٢- الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، صـ ٢١٩.

33- Foucault. Michel: Discipline and Punish, P.87.

34- Ibid , P.88.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التعذيب، وهو الوسيلة لإنتاج الحقيقة. ومن أجلها يمارس التنكيل والتعذيب بمختلف أشكاله، لأنه يؤمن اقتران البرهان Proof Coupling المكتوب "ملف الجريمة وأوراق التحقيق"، والبرهان الشفوي في شكل اعتراف(٣٥).

وهذه العملية تحقق "لفوكو" نقطتين أساسيتين، نقطة ربط المعرفة بالسلطة، ونقطة ربط الخطابات بالآليات المادية. حيث إنه يرى أن إنتاج السلطة يتم بطريقتين، أولا: الاستقصاء Survey الذي يتم بصورة سرية من قبل السلطة القضائية، وثانياً: طريقة العمل المنجز من قبل المتهم حيث أن جسد المتهم هو جسد ناطق Spokesman Body(٣٦).

ويلعب التعذيب في رأي "فوكو" وظيفة سياسية وقانونية، حيث إنه احتفال من أجل إعادة إقرار السيادة بعد جرحها لحظة، إنه يعيدها بعد أن يظهرها في كل أبهتها، فالتنفيذ العلني العام يدخل في مراسم السلطة المغيبة، مثل التتويج "كدخول الملك إلى مدينة مفتوحة، خضوع الرعية الثائرة. ويضفي التعذيب في عيون الجميع قوة لا تقهر، وهدفه ليس فقط إعادة التوازن، بقدر ما هو إظهار الفارق الأقصى بين فرد من الرعية تجرأ على خرق القانون، والعاهل الكلىّ القوة الذي يبرز قدرته. وعلى هذا فعلنية الإكراه الجسدي Physical Coercion هي لعبة غير متكافئة بين قوى (تتصارع)، احتفالية مدروسة، وباختصار فجهاز الدولة يدخل ضمن الوظيفة السياسية للعقوبة(٣٧).

وهناك أساطير وقصص كثيرة وبشعة لا مجال لذكرها هنا، "تمثل نوع من أنواع الصراع حول الجريمة، وحول عقابها وحول ذكراها، كان الهدف من طبعها وتوزيعها في تلك الفترة هو الأمل في إيجاد تفاعلات أيديولوجية Ideological Reactions عقابية لدى الأفراد". ويكون الصراع هنا بين فكرين ذكيين خالصين هما فكر المجرم، وفكر المحقق، يكوّن الشكل الأساسي في المواجهة. وفي تلك المرحلة

35- Ibid , P.89.

٣٦- الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، صـ ٢٢٠.

37- Foucault. Michel: Discipline and Punish, P.95.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بخ الانتقال من التعذيب إلى عملية الاكتشاف والاستقصاء، أي من المواجهة الجسدية مع السلطة، إلى الصراع الفكري بين المجرم والمحقق(٣٨).

٢- العقاب Punishment:

حدث التحول من التعذيب للعقاب بسرعة بسبب النزعة، التي أدت لاستبدال الفظاعة بعقوبات، يقول عنها "فوكو" أنها تدعي شرف الإنسانية، أما "فوكو" فلا يقف عند هذه الأسباب الظاهرة والمغربة في نفس الوقت، وإنما سيستخدم المنهج "الأركيولوجي" حيث يرى أن التحول بسبب أزمة التعذيب، والمؤشر الأساسي لهذه الأزمة هو حضور الشعب كشاهد على تلك الفظاعة، إن هذا الحضور هو المشكلة ومشكلته أنه ملتبس، إذ كثيراً ما ينقلب مسرح التعذيب من العبرة إلى التعاطف، ومن الانتقام من المجرم إلى التسامح معه، وخاصة عندما يعلم الشعب أن العقوبة جائرة والحكم ظالم، هكذا يتحول المجرم إلى بطل، ويبدأ الشعب في التضامن معه(٣٩).

ومع حلول الثورة الفرنسية تم تغيرت النظرة من فرد في الرعية خطر على الملك، إلى مواطن في المجتمع محكوم بالعقد الاجتماعي. وأصبح المجرم يعرف بالمخترق للعقد الاجتماعي، وهو بجريمته يكون قد أخل بالعقد الاجتماعي، ويستحق أن يكون خارج نطاق هذا العقد، ويفقد بالتالي اعتباره كمواطن، كما يفقد حقوقه الأخرى، ويلتحق بالفئات الهامشية مثل المجنون والمريض، ويصبح موضوع معرفته علمية وجنائية وهكذا يظهر مفهوم الإنسان الإجرامي، مع خطاب جديد وتقنيات جديدة للعقاب، وتم وضع مجموعة من القواعد تتناسب والجريمة المقترفة ومنها:

١- البعد ما أمكن عن التعسف، واقتراح سلسلة من العقوبات، وضرورة البحث عن علاقات بين طبيعة الجريمة وطبيعة العقوبة.

٢- ضرورة وضع جدول زمني للجرائم، فلقد قضى قانون ١٧٧١ بالموت للخونة والقتلة، أما بقية العقوبات فيجب أن يكون لها حد، والحد الأقصى هو ٢٠سنة سجن.

38- Ibid , P.102.

٣٩- الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، مرجع سابق، صـ صـ ٢٢١-٢٢٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner